الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
-البويرة-
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم : اللغة و الأدب العربي

تخصص :لسانيات عامة

ألفاظ الطبيعة في شعر أبي القاسم الشّابي في قصيدة "كم من عهود عذبة"

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على شهادة ليسانس

إعداد الطالبتين:

- منيرة طهراوي
- وسام زطال

إشراف الأستاذة:

- أ. جميلة بوتمر

السنة الجامعية: 2024/2023

بسم الله الرحمن الرحيم

الإهـــداء:

الحمد لله حبا و شكرا و امتنانا على البدء و الختام، الذي بفضله ها أنا اليوم أنظر إلى حلم طال انتظاره و قد أصبح واقعا أفتخر به و الصلاة و السلام على سيد الخلق محمد صلى الله عليه و سلم ، أمـــا بعـــد، و بكل حب أهدي ثمرة نجاحي و تخرجي :

* إلى الذي زين اسمي بأجمل الألقاب، و دعمني بلا حدود، و علمني أن الدنيا كفاح سلاحها العلم و المعرفة، داعمي الأول في مسيرتي و سندي من بعد الله والدي العزيز

* إلى من جعل الجنة تحت أقدامها ، و احتضنني قلبها قبل يدها و سهلت لي الشدائد بدعائها ، إلى القلب الحنون و سر قوتي و نجاحي جنتي و غاليتي امي العزيزة .

* إلى من ساندتني بكل حب عند ضعفي و أزاحت عن طريقي المتاعب و زرعت الثقة بداخلي، إلى من شد الله بها عضدي أختي " نريمان" .

* إلى إخوتي اللذين وقفوا معي دائما و ساندوني طيلة مسيرتي الدراسية "عبدالحق" و "متيم".

* إلى من كانت لي نعم الأخت التي لم تلدها أمي و نصفي الثاني ، و وقفت معي في جميع لحظاتي حياتي رفيقتي و عزيزتي "شهرة".

* إلى الصديقات الوفيات وسام و شيماء و أية ،

* و إلى كل من سكن قلبي و لم تذكره كلماتي .

وأخيرا من قال أنا لها "نالها "و ان أبت رغما عنا أتيت بها، فالحمد لله على التمام .

منيرة

الإهـــداء:

أبلغ ما يقال في هذا المقام قوله تعالى «وَ آخِرُ دَعْوَاهُم أَنِ الحَمدُ لله ربِّ العالمين» الحمد لله الذي ما تم سعي ولا ختم درب إلا بفضله وتوفيقه. الحمد لله قولا و فعلا

أهدي هذا الإنجاز إلى سكان قلبي:

إلى بطلي وقدوتي وقوتي وعزي وانتمائي إلى من حصدت يداه الشوك لتمهد لي طريق العلم و المعرفة أبي الغالي.

إلى قمري في الليالي المظلمة إلى قلبي النابض إلى من أضاءت لي الطريق بدعواتها مؤنستي وحبيبتي أمي.

إلى سندي و عضدي ضلعي الثابت الذي لا يميل أخي وليد وزوجته. إلى بلال رحمه الله من فقدته في الحياة، لكن طيفه يدفعني ويشجعني دائما للمضي قدمًا.

إلى أختاي قرة عيني وبهجة روحي، من آمنت بقدراتي أختي الكبرى ومن تذكرني بقوتي في لحظات الضعف أختي سلمى. إلى نجوم سمائي المتلألئة أولادهم.

إلى توأم روحي رفيقتي وأختي التي لم تلدها أمي من ساندتني في كل لحظاتي حلوها ومرها غاليتي سلمى.

إلى رفيقات الدرب بشرى وشيماء ومنيرة ورانيا ومنال وكل من لهم مكانة في قلبي إن نسيت ذكرهم.

إلى من ارتضاه الله لي دينا وخلقا، إلى من سأتم معه نصف ديني وعمري .

إلى أساتذتي الكرام في كل مسيرتي الدراسية كل بمقامه كل باسمه.

إلى عائلتي الكبرى عائلة أبي من كبيرهم إلى صغيرهم ، ولا أنسى عائلة أمي.

لكل بداية نهاية وأجمل النهايات التي تتوج بالوصول بعد طريق طويل. وآخر دعوانا أن الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا وحبيبنا محمد و من والاه.

وســـام

شكر و تقدير:

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم:

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله"

صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم

الحمد لله على إحسانه و الشكر له على توفيقه امتنانه و توفيقه لنا لإتمام هذا البحث

ونتقدم بجزيل الشكر و خالص الامتنان

إلى من شرفتنا بإشرافها على مذكرة بحثنا الأستاذة الفاضلة

"جميلة بوتمر"

التي لا تكفي حروف هذه المذكرة لإيفائها حقها بصبرها الكبير علينا و توجيهاتها التي لا تقدر بثمن و التي ساهمت بشكل كبير في إتمام و استكمال هذا العمل.

و الشكر الى كل أسرة و أساتذة قسم اللغة و الأدب العربي بجامعة "آكلي محند أولحاج"

كما نتوجه بخالص الشكر و التقدير إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على

إنجاز هذا العمل.

منيرة و وسام

مقدمة

مقدمة:

الشاعر، الشخصية السَّخية، التي إذا عدت إليها فلن تخرج إلا بزاد جديد و ثروة معرفية، فهو يستخدم اللغة بشكل فني لإيصال مشاعره و أفكاره للتعبير عن قضاياه بطريقة جمالية و مؤثرة، و تتنوع أساليب الشاعر الفنية و مواضيع قصائده بشكل كبير، و من أبرزها أسلوب الطبيعة التي وجدت في الشعر العربي الحديث، و هي مظهر من مظاهر المذهب الرومانسي، فيعتبر اللجوء إليها ظاهرة شائعة في عالم الشعر، حيث تمثل مصدر إلهام لكثير من الشعراء و من أبرزهم الشاعر التونسي أبي القاسم الشّابي.

فالشّابي _ كشاعر رومانسي _ ركز على الطبيعة حبا فيها لأنها كانت من أكثر الموضوعات التي برزت في ديوانه "أغاني الحياة"، فاعتبرها الملاذ من الهموم و الأوجاع. فكل هذه الأسباب جذبتنا لاختيار هذا الموضوع و أيضا لقلة الدراسات عن الطبيعة، ولأنها طاغية في كل قصائد الشّابي، فحاولنا في هذه الدراسة كشف سر شغف و انجذاب شاعرنا إليها، و لهذا فموضوعنا " ألفاظ الطبيعة في شعره" و أردنا الوقوف على أبواب هذا الموضوع لدراسته من كافة جوانبه طرحنا الاشكالية التالية :

- من هو أبو القاسم الشّابي؟

- و كيف صور لنا الطبيعة؟

– و كيف وظفها في شعره؟

– و ما هي المظاهر التي تجلّت في أشعاره؟ و هل هي نفسها عند باقي الشعراء المحدثين المهتمين بالطبيعة؟ أم أنّ للشّابي بصمة أخرى في الطبيعة؟

و للإجابة عن هذه الأسئلة، اقتضت الدراسة خطة منهجية لهذا الموضوع استهلّت بمقدمة، ثمّ تلاها مدخل و أعقبناها بفصلين: نظري و تطبيقي.

أما الفصل الأول فعنّون بـ: دلالة ألفاظ الطبيعة في شعر أبي القاسم الشّابي و يندرج تحته:

– المبحث الأول: الألفاظ الدالة على الألم و الحزن.

– المبحث الثاني: مرارة الموت.

– المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على التفاؤل و الإشراق.

و الفصل الثاني فعنّون بـ: ألفاظ الطبيعة في قصيدة "كم عهود عذبة" أو ما عرفت في ديوانه بـ" الجنة الضائعة" أنموذجاً للدراسة دلاليا.

ثم الخاتمة و فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها، و أجبنا عن الإشكالية المطروحة في المقدمة.

كما اقتضت الدراسة اتباع المنهج الوصفي التحليلي لوصف الظاهرة و تصويرها عن طريق جمع المعلومات ، ثم تحليلها و تفسيرها ، و استعنا بالمنهج التاريخي من خلال تتبع مسار الشابي في حياته الشعرية، و المنهج النفسي أيضا الذي يظهر في شخصية الشاعر.

و اعتمدنا على مجموعة من الدراسات السابقة التي أضاءت الطريق و أوضحت الرؤيا لنا من أهمها:

-صورة الطبيعة في شعر أبي القاسم الشّابي ـ مذكرة ليسانس.

-ألفاظ الطبيعة في شعر أبي القاسم الشّابي ـ مذكرة ليسانس.

و اعتمدت الدراسة على جملة من المصادر و المراجع من أهمها :

-ديوان أغاني الحياة لأبي القاسم الشّابي.

-الشّابي حياته و شعره ـ لأبي القاسم محمد كرو.

-دراسات عن الشّابي ـ لأبي القاسم محمد كرو.

و أما الصعوبات التي واجهتنا فتمثلت في محدودية الدراسة لهذا الموضوع و قلة المراجع المتوفرة و بعض الضغوطات النفسية.

و أخيرا نتمنى أن نكون وفقنا و لو قليلا في بحثنا هذا ، و نتقدم بخالص الشكر و التقدير لأستاذتنا المشرفة " جميلة بوتمر" التي لم تبخل علينا بتقديم النصح و التوجيهات القيمة فلها منا عظيم الامتنان و وافر العرفان و التقدير.

و نسأل الله التوفيق و السداد ، و أن خير فاتحة الشكر لرب العباد فالحمد لله الذي وفقنا في البداية، نحمده على نعمة العقل و نور العلم .

تمهيد

أبو القاسم الشابي؛ حياته؛ نشاطه ألأدبي؛ الطبيعة في شعره

حياته: ولد أبو القاسم الشابي في 24 فيفري 1909م في قرية الشّابة في تونس وكانت طفولته غير مستقرة بحكم عمل والده الشيخ محمد بن القاسم الشابي، فلم ينعم بقضاء طفولته في بلدته، وكان ينتقل من بلدة إلى أخرى في تونس الخضراء التي تتميز باختلاف اللهجات والعادات والتقاليد بين مناطقها ولكل منطقة مناخ مختلف[1].

تلقى أبو القاسم الشابي دروسه على يد والده بالدرجة الأولى؛ ثم أرسله إلى الكتّاب في بلدته قابس، كان ذا ذاكرة مميّزة وتمكن من حفظ القرآن الكريم في سن التاسعة من عمره ، وفي الثانية عشر قدم إلى العاصمة والتحق بجامع الزيتونة للدراسة فكان على صلة دائمة بأهل العلم و المثقفين ، وكوّن نفسه وأصبح ذا ثقافة عربية واسعة وجمع بين التراث العربي القديم والأدب الغربي الحديث ، الذي اطلع عليه من خلال ما درس من محاضرات إلاّ أن أفكاره لم تلقى القبول ممّا جعله مستاء من الوضع[2] وقد استغرقت غربته عن مسقط رأسه عشرين عاما الأمر الذي أدّى إلى نضج تجربته الشعرية وإغنائها . وتولى أعباء

[1] د. أحمد حسن بسج، ديوان أبو القاسم الشابي، منشورات أحمد علي بيضون دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ص 5.
[2] المرجع نفسه ص6.

الحياة وأمر إخوته بعد وفاة والده متحملا المسؤولية وقد ولّد رحيل أبيه الحزن والأسى في نفسه فأنشد قائلا:

"يا موت قد مزقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري

وفجعتني فيمن أحب ومن إليه أبث سرّي

وأعده غابي ومحرابي وأغنيتي وفجري." [1]

وأصيب أبو القاسم بداء تضخم القلب في سن الثانية والعشرين من عمره لكن لم يمنعه المرض من الاستمرار في كتاباته إلى أن توفي يوم 09 أكتوبر 1934م ودفن في توزر مسقط رأسه.

نشاطه الأدبي: كما ذكرنا أنّ أبَا القاسم الشابي قد جمع بين التراث العربي القديم الأدب الحديث والأدب الغربي، وبذلك نمت قدرته الشعرية في سن مبكرة، وكانت قصيدة "يا حب" من أول القصائد التي كتبها سنة 1923[2].

وكانت العملية الشعرية عند أبي القاسم وسيلة للتعبير عن مبادئه وإيصال رسائله الثورية إلى مجتمعه إبان الاستعمار الغاشم على بلاده والظلم الذي كان يعيشه شعبه آنذاك.

[1] د سحر عبد الله عمران أبو القاسم الشابي عبقرية فريدة وشاعرية متجددة، دراسة دمشق 2009، الكتاب الشهري الثاني والعشرين ص 7.

[2] أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، الدار التونسية للنشر، س 1970، ص10.

وكان له نشاط مع جريدة النهضة كل اثنين، وظهر شعره مطبوعا ضمن كتاب "الأدب التونسي في القرن الرابع عشر "سنة 1927 وهي ذات السنة التي ألقى فيها محاضراته في نادي قدماء الصادقية بعنوان "الخيال الشعري عند العرب" وبعد أن ذاع صيته ومواقفه المشهورة في الدعوة إلى التجديد في الشعر وتحرير المرأة تلقى هذا الأخير الكثير من الانتقادات ولم يلبي الشعب التونسي دعوته إلى الثورة مما زاد يأسه فقرر إكمال ما تبقّى من حياته في الغاب والاهتمام بالطبيعة بعد أن علم بمرضه الذي أودى بحياته.[1]

وخلّف الشابي قبل وفاته عددا كبيرا من الآثار الإبداعية شعرا ونثرا نذكر منها:

- "الخيال الشعري عند العرب "(محاضرة ألقاها الشابي في القاعة الخلدونية بدعوة النادي الأدبي لجمعية قدماء متخرجي مدرسة الصادقية في 1930/01/21).
- ديوان "أغاني الحياة ".
- المقبرة (رواية).
- السكّير (مسرحية).

فضلا عن المقالات والمحاضرات والرسائل التي تبادلها مع عدد من أصدقائه. [2]

[1] مجيد طراد، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، دار الكتب العربية ط2، ص15.

[2] موقع الشابي على الأنترنت (آثار الشابي).

شعره وأغراضه: كما تطرقنا من قبل أن شعر أبي القاسم الشابي خرج عن المألوف لكونه كان مطلعا على الأدب العربي والغربي معا وقد تجاوز من هم أكبر منه سنّا بكونه شاعرا وجدانيا بامتياز وقد صنّف في قائمة شعراء المدرسة الرومنسية لأن شعره يتمتع بخصائص فنية تميّز بها روّاد المذهب الرومنسي كالألفاظ البسيطة والأسلوب والقالب الشعري واستخدام لطبيعة والتجديد في الشعر والنزعة الإنسانية [1] واختلفت الأغراض الشعرية لديه لكنها كانت محدودة تقتصر عمّا يعبّر به عن شعوره وأحاسيسه المختلفة، فنجد أغراض شعره متمثلة في:

- التأمل في الغيبيات: كتأمله كالكون وما وراءه والخالق والموت والحياة.

- التأمل في الطبيعة: كتأمله في الربيع والمساء والفجر والمناظر الطبيعية.

- الموضوعات النفسية كالكآبة والحزن والأمومة والطف

- الوجدانيات كالحب والغزل والرثاء[2].

وما يلفت انتباهنا في شعره أنه سهل الفهم عميق المعنى بألفاظ بسيطة لا يصعب على القارئ استيعاب معناها وفهمها.

[1] د سحر عبد الله عمران، أبو القاسم الشابي، عبقرية فريدة وشاعرية متجددة، ص15.

[2] المرجع السابق ص 19.

أما طريقته في النظم فكانت تقوم على أساسين هما سهولة الألفاظ وعمق المعاني فالمعاني ترتبط بالإنسان والحياة والشعور، والألفاظ رغم سهولتها إلاّ أنها تحمل معاني قوية ومختلفة، هكذا ذكر الأستاذ أحمد بسج في شرحه لديوان أبي القاسم الشابي.

إنّ شعر الشابي شعر العبقرية والتفوق فله قدسية نورانية يصعب تعريفها وسواء لدينا فجرها أو شروقها لأنها على اختلاف منازلها تتألق بالجمال وتنمّ عن رسالة سامية[1].

الطبيعة في شعره: استعملت الطبيعة منذ العصر الجاهلي كغرض من أغراض الشعر العربي إلاّ أنها في هذا العصر لم تتجاوز الوصف التصويري الفني للبيئة التي يعيشها الشاعر الجاهلي، واعتبرها كمصدر إلهام له. وقد عرفت تطوّرا كبيرا وخرجت عن المألوف الذّي عرفت به في الشعر العربي القديم إلى أن صارت تعبّر عن دلالات مختلفة وهذا ما حدث في العصر الحديث حيث تأثر العديد من الشعراء بالمذهب الرومنطيقي، ومنهم أبو القاسم الشابي الذي ظهرت أغراض شعر هذا المذهب جلية في قصائده، وأهم هذه الأغراض هي الطبيعة فقد أخذت حيّزا كبيرا في دواوينه ولم يكن الشابي يستعمل الطبيعة في ذاتها بل استعملها في وصف حالاته النفسية ووصف حالة مجتمعه في فترة الاستعمار

[1] أحمد زكي أبو شادي، قضايا الشعر المعاصر، دن مؤسسة هنداوي ـ 2014، ص 81.

وبعدها ومن أبرز العوامل التي جعلته يتعلق بها هو تنقل لأماكن متعددة ذات مظاهر مختلفة في تونس الخضراء منذ ولادته. [1]

وكما سبق الذكر أن الشابي قد انصرف عن فنون الشعر التقليدية وتجلت مظاهر التجديد في شعره كما طالب بها في العديد من المحاضرات. ظلت فكرة الطبيعة مسيطرة عليه حتى في آخر سنوات عمره حيث راح يدعو إلى الانفراد والابتعاد عن الناس والغوص في أحضان الطبيعة التي تبعث فيه حب الحياة متخليا عن قضية وطنه التي حارب من أجلها في مطلع شبابه في قصيدته:

ليت لي أن أعيش في هذه الدنيا سعيدا بوحدتي وانفرادي.

أصرف العمر في الجبال وفي الغابات بين غابات الصنوبر.[2]

[1] مجيد طراد، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، ص 21.

[2] المرجع السابق، ص 87 .

الفصل الأوّل: ألفاظ الطبيعة في شعر أبي القاسم الشابي.

مدخل:

الشابي كمعظم الشعراء القدامى والمحدثين الذين يوظفون ألفاظ الطبيعة في أشعارهم، وهي تشكّل جزءا أساسيا من الصورة الشعرية لدى الشاعر، وهي تعتبر مصدر إلهام رئيسي للشعراء حيث يجدون فيها مرآة لمشاعرهم وأفكارهم وتجاربهم في الحياة، كما تمثل في عيون الشاعر مزيجا من الجمال والعمق وتتيح لهم التعبير عن الأفكار من خلال الصور الطبيعية المتنوعة التي تقدمها في الشعر مثل الحزن، الفرح، الحب، الغضب وأيضا الشوق والأمل واليأس وغيرها، ممّا يجعل الشعر يحمل روحا حية وعمقا اتجاه الحياة الإنسانية.

ألف الشابي ما يقارب الثلاثين قصيدة تتضمن عناصر الطبيعة منها أنشودة الرعد، ومنجاة عصفور والجنة الضائعة وغيرها، وصور الطبيعة وصور الطبيعة في قصائده تعكس مدى امتزاج روحه بالطبيعة حيث يرى فيها شريكا له في رحلته الإبداعية ومصدرا للتأمل والإلهام وهذا يتضح من خلال استخدامه لألفاظ الطبيعة.

المبحث الأول: الألفاظ الدالة على الألم والحزن.

مرارة الموت: تقاطرت أنواع الهموم بالنسبة للشابي منذ نعومة أظافره، من وفاة والدته إلى فقدان الحبيبة إلى مفاسد وجهل يحيط به من كل الجوانب، لكنه لم يستكن رغم ثقل

المسؤولية التي كان يحملها من العائلة بعد رحيل والده، "لما استمعت إلى نفسي لم آلف إلاّ الأسى يبكي وأصغيت إلى قلبي لم أسمع سوى النحيب وقلبت طرفي لم أبصر إلاّ ظلمات تتدجى من فوقها ظلمات ".[1]

فهنا نفس الشّابي مليئة بالأسى وبمحيط مليء بالظلمات والعذاب، فلم يهدأ رغم كل الأحزان التي تأتيه واحدة تلو الأخرى، فلا مفر منها لقد استمعنا إلى حيرته وأنّات قلبه واستغرابه لما حل به من ضياع وذلك بعد وفاة والده 1929م، فصدمته كانت شديدة تركت في نفسه أثرا عميقا ونلاحظ ذلك من خلال أشعاره فيقول في ذلك:

"يا موت قد مزقت صدري وقصمت بالأرزاء ظهري

ففجعتني فيمن أحب ومن إليه أبث سرّي."[2]

فقصيدة "يا موت" تدل من مطلعها على حزنه وضعفه أمام رحيل والده الذي يفيض منه في صورة المهزوم أمام الفاجعة.

فلقد استخدم الشابي الطبيعة لإيصال أفكاره وأحاسيسه ومزج بين مظاهرها والأغراض الشعرية، حيث اختلطت مشاعره نحو الطبيعة بمشاعر الوحدة والألم والحزن، حيث نجدها في ديوانه كمواضيع بارزة تتجسد في المرارة والألم خاصة من الفقدان والموت كما ذكرنا

[1] محمد الحليوي، رسائل الشابي، دار المغرب العربي . تونس ص36.

[2] د. أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابّي، دار الكتب العلمية بيروت، 2006 ، ص85 / 86 .

سابقا في موت والده وفقدان حبيبته فلقد عاش والخوف يصاحبه من شبح الموت خاصة عند إصابته بداء تضخم القلب.

ويواصل الشابي حزنه بعيدا عن أبيه فلقد عاش تجربة غرامية في حياته، قل أن يمر بها إنسان في حياته دون أن تجعله شاعرا، ولكن الموت اختطف منه حبيبته فنظم فيها شعرا وقصائد فيقول:

"مات الحبيب وكلما قد كنت ترجو أن يكون.

فاصبر على سخط الزما ن وما تصرفه الشؤون.

فسوف ينقذك المنون ويفرح الروح السجين."[1]

ويقول عن حبيبته في قصيدة "مأتم الحب":

"فأنادي يا فؤادي

مات من تهوى وهذا للحد قد ضم الحبيب.

فابك يا قلب بما فيك من الحزن المذيب.

ابك يا قلب وحيد

[1] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، دار الكتب العلمية –بيروت2006 ،ص150.

ذل قلبي،

مات حبي."[1]

ففي هذه القصيدة يصوّر لنا الشابي صورة الحزن الكبير الذي يعاني منه إثر فقدانه لحبيبته فتركه يرثيها اذ بقيت في نفسه حاضرة يشغل طيفها عينيه، فهو يتصورها كما كانت حية ويصحبه شبحها وما كانت عشرة صباه بجنة شاعر أو حلم كاذب.[2]

بالنسبة للشاعر يمكن أن تكون تجارب الحب الأولى قاسية على الشاعر إذ تركت في نفسه آثارا عميقة، حيث يجد الشاعر في الشعر ملاذا ليعبّر عن مشاعره وأحاسيسه، كذلك يشتاق ويحن إلى الماضي الذي يرافقه بذكريات جميلة فيقول:

" لست يا أمسي أبكيك لمجد أو لجاه.

سلبته مني الدنيا وبزتني رداه.

إنّما أبكيك للحب الذي كان بهاه.

يملأ الدنيا فأين سرت في الدنيا أراه.

[1] د. عز الدين إسماعيل، ديوان أبي القاسم الشابي، دار العودة–بيروت، ص88.

[2] عمر فروخ، شاعر الحب والحياة، منشورات دار العلم . بيروت 1960، ص 174.

فهو في قلبي الذي عانقه الفجر إله."[1]

إن تأثير الحب الأول والطفولي نراه قويا جدا على الشاعر وخاصة عند فقدانه، يبقى حاضرا في ذاكرته وخياله لفترة طويلة، فهو يعيش في عالم من الذكريات والأوجاع، ويعود مرارا وتكرارا إليها ليستلم منها الألحان الحزينة التي تعكس مشاعره.

تقاسم الشابي حزنه مع الطبيعة لأنه يجد فيها راحته، خاصة في الليل، حيث يمكنه التواصل مع أعمق جوانبه والتفكير في معاني الحياة والوجود كما أن الليل يعطي فرصة التأمل، وتكون الطبيعة الرفيق المثالي في هذه اللحظات، يقول:" أحببت من قبل وليس لي أن أحب من بعد لأن الحب واحد كجوهر الحياة خالد لن يستحيل وفتح قلبي الحب ثم أوصده الموت، وما أوصده الموت لاتستطيع فتحه الحياة."[2]

فيعتبر هذان الحدثان أليمان (فقدان الوالد والحبيبة) من أصعب التجارب التي يمر بها الانسان، وقد يتركان أثرا عميقا على نفسيته وحياته ويعكس الحزن والأسى في ديوانه هذا الألم الذي يعيشه والذي يمكن أن يكون مصدر إلهام لأعماله الفنية، وربّما يكون القلق من الموت ورهبته ضمن الأفكار التي تسكن قلبه، وهي أفكار تتغلغل فينا جميعا في مواجهة الفقدان والألم، فيقول عن الموت:

[1] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 158

[2] أبو القاسم الشابي لأعمال الكاملة، ج2، ص41

"ما للمنية لا ترق على الحياة النائحة.

سيان أفئدة تئن أو القلوب الصادحة.

يا شعر هل خلق المنون بلا شعور كالجماد."[1]

كما نلاحظ أن استخدام مفردات الموت بشكل متكرر في شعر الشابي يعكس الوعي العميق بالحياة والموت والتأمل في مفهومهما عبر تجاربه الشخصية والانفعالات التي يمر بها، يبدو أن الشاعر أبَا القاسم لا يستخدم هذه المفردات للتعبير عن الحزن فقط، بل يستعملها أيضا كوسيلة لتعزيز الوعي بالحياة وقيمتها.

كما تعكس هذه المفردات عمق الشعور بالتواجد الدائم للموت في الحياة، ويرتبط بمفهوم الزمان والبقاء فحين يحضر الموت يستبد به الحزن ويغيب سروره فيقول:

"أرى هيكل الأيام يعلو نشيدا ولا بد أن يأتي على أسسه الهدم

فيصبح ما قد شيّده الله والورى خراب كأن الكل في أمسه الوهم

فقيل لي: ما جدوى الحياة وحربها وتلك التي تذوي وتلك التي تنمو."[2]

[1] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص19/18.

[2] المرجع نفسه ص139.

فديوان "أغاني الحياة" يشهد على تنوّع وغنى الشابي في التعبير عن مفهوم الموت، وانتهى الحضور القوي للموت في نفس الشابي إلى أن "تمزق من ورائي وجودي" [1]، وموت الوالد كان صدمة له أحدث فاجعة في حياته، وأصبح هو في حد ذاته يودّ الذهاب إليها فأنشد قائلا:

"إلى الموت يا ابن الحياة التعيس ففي الموت صوت الحياة الرحيم.

إلى الموت إن عذبتك الدهور ففي الموت قلب الدهور الرحيم.

إلى الموت فالموت روح جميل يرفرف من فوق تلك الغيوم." [2]

هذه دعوة صريحة لترك هذه الحياة "فلقد كان يرى في الموت ذوبانا في فجر الجمال السرمدي وهو في بذلك يشبه الشاعر الإيطالي ليو باردي الذي كان يقول: شيئان جميلان في الدنيا الحب والموت الموت يلغي آلام الانسان في الحياة أنه يحب الموت ويهدف به".[3]

فالموت هو الخلاص الوحيد للشابي في نظره من شقاء الحياة، ويفكر يه على أنه التحرّر من العبء ويودع الطبيعة التي كانت مصدرا له فيقول:

---

[1] عبد السلام المسدي، قراءات ، الشركة التونسية للتوزيع، 1981، ص51 .

[2] المرجع السابق ص55.

[3] محمد التليسي، الشابي وجبران، ص152.

"الوداع، الوداع يا جبال الهموم.

يا ضباب الأسى يا فجاج الجحيم.

قد جرى زورقي في الخضم العظيم.

ونشرت القلاع فالوداع الوداع".[1]

شبّه الضباب بالأسى والجحيم وهو يركب الزورق ويخوضه في البحر ويقلع فيقول الوداع، الوداع، فهو يستخدم موته في شعره كرمز للاغتراب والحزن العميق الذي يختلجه، حيث يرتبط حزنه بعدم إمكانيته من تحقيق هدفه الروحي والفكري وهي الرسالة التي عاش لها ومات وهو ينادي بها إنّها الدعوة للحياة، حياة الروح والعقل يقول لصاحبه الحليوي:" إنّه ليحزنني شيء في هذه الدنيا أكثر مما يحزنني التّفكير في أنّني أموت قبل أن أؤدي رسالة الدنيا التي أحس أنني لم أخلق لغيرها في هذا العالم." [2]

المبحث الثاني: الكآبة في شعره:

اتّضحت صورة الألم والكآبة والأحزان في أشعار الشابي منذ بداية كتاباته للشّعر، اصطدم بمحيط متخلّف فرغم بذل الجهد الكبير للخروج إلى ما يراه من آفاق جديدة، فالكآبة ذات

[1] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 152.

[2] محمد نبيل طريفي، أبي القاسم الشابي ورسائله، ضبط د المكتبة العصرية، ط 1، بيروت 2002، ص240.

بعد فلسفي وتوجه ثقافي، فبالنسبة له قد كوّنت مصدر إلهام للإبداع الشّعري، فهي تعتبر عنصرا أساسيا في الأدب الرومانسي وتعامل معها بطريقة مختلفة لأنّه يرى فيها وسيلة للاندماج مع الرومنسية والإحساس العميق وهذا ما يظهر في قصائده التي تتميّز بالنغم الحزين فلقد سار على نهج الألم ليغير صورة الكآبة المعروفة عند الناس فيقول:

" كآبة الناس شعلة ومتى مرت ليال خبت من الأمد

أما اكتئابي فلوعة سكنت روحي وتبقى إلى الأبد".[1]

حياة الشابي مليئة بالتحديات والمحن، تحمل مسؤوليات عديدة منذ صغره بدءا من وفاة والده مرورا بفقدان حبيبته ومرضه المزمن، كل هذه الصعوبات لم تمنعه من الاستمرار في تحقيق طموحاته الأدبية، فيحكى أنه يوما انتابته الضائقة الصدرية ولمّا هدأت النوبة بدأ يسوي ثيابه وأزرار قميصه، ثم تكم منشرحا وقال:" أعطني ورقة وقلم من جيب سترتي "، فأعطوه ما طلب فأخذ يكتب وهو في حالته النفسية الجامحة تلك ونفسه سكرى بأحزانها الدامية آلامها الموشحة باللهيب فيقول:

" يا إله الوجود هذي جراح في فؤادي تشكو إليك الدواهي.

[1] د. عز الدين إسماعيل ديوان أبي القاسم الشابي، دار العودة بيروت 1998، ص 92.

هذه زفرة يصنعها إلههم إلى مسمع الفضاء الساهي."[1]

كآبة الشاعر ممزوجة بمظاهر الطبيعة مثل الليل والخريف والمساء والغروب، فيتّخذها الشابي وسيلة للتغيير عما في نفسه كما أنه عانى من مصائب كثيرة في حياته ولّدت عنده الإحساس بالغربة وشعور عميق بالكآبة "وكل مؤثر قوي يثير في المرء حركات تتعلق بها المدارك في صورة عاطفة أو انفعال نفسي، ولكن دقيق الشعور لا يكفيه هذا المتنفس لأنه أحس من غيره بما تطلع عليه نفسه من الظواهر، وليس يخفى أن دقة الإحساس وعمق الشعور يطيلان أجل العاطفة فإذا استولت عليه هذه الأخيرة لم تزل تجيش وتضطرم حتى تقر وتنتظم ثم تتحوّل فكرة قاهرة تظل تجاذبه وتدفعه حتى ينفّس عنها".[2]

وكما ذكرنا أن مشاعره وكآبته الممزوجة بالطبيعة " وقد يحلو له أن يعبر عن احساسه بالوحدة والتفرد عن الآخرين في معيار الكآبة ومقياس الحزن فكآبته ليست قابلة للزوال وإنما هي باقية خالدة في نفسه خلودها الأبدي، وكآبته في المذاق مرة الطعم وفي السمع لا يكاد يسمع صراخها غيره، فهي لا تسمع بالجسد بل تسمعها الرّوح. [3]

[1] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص 178.

[2] أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ص44.

[3] إبراهيم خليل، مدخل إلى الشعر العربي الحديث، ص179.

تجلّى شعور الإكتئاب بشكل واضح في شعر الشابي وذلك بسبب الصعوبات التي مرّ بها في حياته والتي تركت بصمات عميقة في نفسه وإبداعه الشّعري فقد عاش مصائب كثيرة بما في ذلك فقدان الأحبة والانشغال عن الأرض والوطن مما أثر في روحه وأدخله في دوامة من الحزن والإكتئاب، فمنذ أن مرض أصبح تعيسا وكان سببا في شقائه فقد بعث رسالة إلى صديقه الحليوي يقول:" فإنّ قلبي هو منبع آلامي في هذا العالم ومن يدري؟ لعله سيكون منبعا لمثل هذه الآلام. إن قلبي يا صديقي هو منبع هذه النّفس التائهة المعذبة...."[1]

فهنا الشابي في هذه العبارة عبّر عن حزن عميق وتألّم نفسيّ عانى منه كثيرا، وهو يعتبر قلبه المصدر الرئيسي لهذه المعاناة الداخليّة.

ويقول في شعره أيضا:

"أنا كئيب

أنا غريب

كآبتي خالفت نظائرها

غريبة في عوالم الحزن

[1] أبو القاسم الشّابي، الأعمال الكاملة، ج2، ص72.

كآبتي فكرة مغرّدة

مجهولة من مسامع الزمن."[1]

هذه الكآبة الغريبة التي أثرت في نفس الشابي التي لا يستطيع أي شخص تحمّلها وماذا لو كان هذا الشخص مصابا بداء تضخّم القلب؟

لم يجد أبو القاسم من يتقاسم معه هموم وحدته ويشكو له، فلجأ إلى الطبيعة وطرح عليها هذه الكآبة منتظرا أن يجد متنفسا له وقال مقارنا بين كآبته وكآبة الكهف: "أنا والكهف كئيبان لأن في نفسي تتردد لواعات الليالي والأيام عضات أبناء الحياة الشقية".[2]

الصورة التي وصفها توضح أن الكهف مكان مظلم ومليء بالحزن، وهو رمز لليأس والعزلة، أما كآبة الشابي فهي نتيجة للظروف القاسية التي يمر بها الفرد والمجتمع، وتعكس مدى الضغوطات النفسية والاجتماعية التي يتعرضون لها وفي هذا الحديث يمكن أن يكون الاستعمار والتخلّف الاجتماعي والثقافي عاملان يزيدان من شعوره بالحزن والكآبة.

"كآبة الشابي تضرب في نسجها العيد إلى مثاليته الروحانية التي ترى أن الحق خير ما

[1] أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 47.

[2] أبو القاسم الشابي، الاعمال الكاملة، ص72.

في هذا العالم وأقدس ما في هذا الوجود"[1].

في هذا السياق يشعر الشابي باليأس والحزن لعدم تحقيق العدالة والحقيقة التي كان يسعى لها.

ونجد الليل الذي يعتبر من مظاهر الطبيعة عنوانا لحزن الشابي فيتقاسم معه الاكتئاب، واختيار الليل لم يأت عبثا لأنه يتصف بالظلام والوحشة وهو يشبه الحزن ووصفه الشابي في أبيات شعرية فريدة من نوعها وقال:

"أيُّها الليلُ! يا أَبَا البؤسِ والهَوْلِ، يا هيكلَ الحَياةِ الرَّهيبِ !

فِيكَ تَجْثُو عرائسُ الأَمَلِ العذبِ، تُصلِّي بصَوتِها المحبوبَ

فَيُثيرُ النَّشِيدُ ذكرى حياةٍ حَجَبَتها غيومُ دَهر كَئيبِ".[2]

فنرى أن الشابي قد استعمل الليل في شعره بكثرة خاصة في قصيدة "في سكون الليل وأيها الليل فالانا الخاصة به جمعت بين الحالمة والفلسفة ففي مطلع نشيد الجبار أو هكذا غنى بروميثيوس التي مطلعها:

[1] عبد اللطيف شرارة، الشابيّ، دار بيروت للطباعة وال نشر 1989، ص17.

[2] أحمد حسن بسج، ديوان الشابي، ص30/29.

"سأعيش رغم الداء والأعداء كالنسر فوق قمة السماء."[1]

هذه القصيدة تشكّل مرحلة جديدة في نظرة الشابي للحياة إذ أنّه كان ينظر إليها نظرة حزن وبؤس فقط، لكن هذه القصيدة ظهر فبها جانب من الإيجابية رغم أنها لاتزال في طور الكآبة ويقول فيها:

"أمَّا إذا خمدت حياتي وانقضى

عُمُري وأخرسَتِ المنيَّةُ نائي

وخبا لهيبُ الكون في قلبي الَّذي

قد عاش مِثْلَ الشُّعْلَةِ الحمراءِ

فأنا السَّعيد بأنَّني مُتحوّلٌ

عن عالمِ الآثامِ والبغضاءِ

لأذوبَ في فجر الجمال السرمديّ

[1] المرجع السابق ، ص11.

وأرتوي من مَنْهَلِ الأَضواءِ".[1]

هنا الشابي يدعو لمواجهة القدر وأنه لا مفاد من الحزن وأنه سيقف صامدا في وجه هذا الاكتئاب ويكون منتصرا إذا هزم الصراع، كما ختم هذه القصيدة بنبرة من التحدي والرغبة في الانتصار على أولئك الذين أرادو هزيمته حين قال:

"فارموا على ظلي الحجارة واختفوا خوف الرياح الهوج والأنواء."[2]

وممّا سبق نرى أن كآبة الشابي تكمن في قلبه كما ذكرنا سابقا فيقول في أبيات من شعره:

" ما لآفاقِكَ يا قلبيَ سوداً حالـــكا

ولأوْرادِكَ بَيْنَ الشَّوْكِ صُفراً ذاو

ولأطْيارِكَ لا تلغو فأينَ النَّغَما

ما لمِزْمارِكَ لا يشدو بغير الشَهَقا

ولأوتارِكَ لا تَخْفُقُ إلاَّ شاكِيـــا

ولأنغامِكَ لا تَنْطُقُ إلاَّ باكِياتْ"[3]

[1] المرجع السابق، ص12.

[2] المرجع السابق، ص 13.

[3] المرجع نفسه، ص39.

ففلسفة الشابي في جميع صورها الباكية ترد إلى رقة احساسه وحزنه على ما مضى من حياته، ويقظة شعوره التي تساهم في خلق شخصيته الفريدة.

المبحث الثالث: ألفاظ الطبيعة المفعمة بالتفاؤل والاشراق.

الغاب في شعره: لا بدّ أن ندرك سبب اهتمام الشابي بالغاب، فمن الطبيعي أن نحاول تحديد مفهوم الغاب في تصوّره، يقول الشابي معرفا الغاب:

"بيت بنته لي الحياة من الشذى والظل والأضواء والأنغام

بيت من السحر الجميل، مشيّد للحب والأحلام والإلهام. "[1]

فهنا يعرّفه على أنه بيت أحلامه وملجأها وهو يرى في مظاهر الطبيعة صدى لروحه حيث يراه رمزا للحرّية والجمال والخلود، وفي هذين البيتين يبدو الغاب ملاذا من قسوة الواقع وظلم المجتمع حيث يجد فيها سكينته وانسجامه مع الطبيعة، هنا جاء تقديس الشابي للغاب لأنّه يعتبره الفضاء الرحب والسكينة الأبدية، اختاره لأنّه أرحم من الحياة ومجتمع لا يقدّره وجعله يعيش في ضغوط نفسية وبؤس كبيرين يقول في ذلك:

" ليت لي أن أعيش في هذه الدن يا سعيدا بوحدتي وانفرادي.

[1] أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابي، ص139.

ليس لي من شواغل العيش ما يص رف نفسي عن استماع فؤادي".[1]

فلقد انطوى الشابي على نفسه وانعزل ذاهبا إلى أحضان الطبيعة التي يجد فيها نفسه، ولقد أشار "يونغ" إلى الشخصية المنطوية حين قال:" المنطوي يكون أكثر ميلا إلى التأمل والانبساط ومقاومة التأثيرات الخارجية وقليل الثقة بالعلاقات مع الآخرين ومع العالم الخارجي بالإضافة إلى ميله إلى الانسحاب الاجتماعي واتصاله بالخجل."[2]

وكل هذه الصفات نجدها تنطبق على الشابي من خلال أشعاره، حيث أنه لجأ إلى الغاب لأنه وجد فيه راحته النفسية وخلاصه الروحي. " الشابي شاعر من طراز رسو ويبرون وشاتو بريان يرى الطبيعة مأوى ومسكنا لروحه ومشاعره التي تأذت وتألّمت، فإذا تغنّى بالطبيعة فإنّما يتغنّى بمظاهرها العامة جبالها، أشجارها وزهورها. وهو إذا قدّس الطبيعة وسحرها، وهو إذا أوى إلى أحضان الطبيعة إنما يفعل هذا زاهدا في دنيا الإنسان وهروبا بمشاعره من أن تصطدم بحياة اليوم العادي".[3]

الغاب عنده منطلق وهروب لدنيا يتمنّى أن تكون كلّها فرح وسرور، وإحساسه به يجعله يرتقي إلى عالم مثالي كامل عوّضه عن الواقع المرير الذي عاشه منذ وفاة والده والأوضاع السائدة في مجتمعه.

[1] أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، دار التونسية للنشر 1970، ص171.

[2] ربيع محمد شحاتة، تاريخ علم النفس ومدارسه، ص294.

[3] أبو قاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص193.

وعلى ضوء الحديث عن الغاب ينطلق الشاعر في رومانسية جادّة ومؤثّرة منغمسا في وجدان الطبيعة، مذيبا كلّ الفواصل و الحدود بينها و بينه، وحفلت بذلك قصائده بعنصر الطبيعة التي تجسّدت في "العودة إلى عالم الطهر والنقاء، بعيدا عن الزيف والنفاق، وكذا العودة إلى الأصل".[1]

سيطرت الطبيعة بصورها وألفاظها على شعر الشابي ونفسيته فلقد " استعان بالطبيعة الخلابة من أجل إجلاء الصور الشعرية التي تجتمع مع جوهر أفكاره ومشاعره التي يريد التعبير عنها"[2]، أي تلك المشاعر التي اختلجت في نفسه، فتلوّنت قصائده بالأشجار والأزهار والليل و السماء.

وتعتبر قصيدة أغاني الحياة صورة للريف، وفيها يتجلّى تقديسه للغاب:

" أقبل الصبح يغني للحياة الناعسة

والرّبى تحلم في ظل الغصون المائسة

والصبا ترقص أوراق الزهور اليابسة

[1] بن يحي عباس، مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، ص 102.

[2] يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، ص64.

وتهادى النور في تلك الفجاج الدامسة".[1]

يظهر إحساسه القوي بالطبيعة، وشاركها شعوره بأفراح الحياة "هنا يسبغ الشاعر صور الفرح على كل ما هو حوله، فينعكس هذا الفرح على الطبيعة فيغني الصبح وتتمايل الغصون ويتهادى النور ويتمطى الزهر والطير والموج".[2]

كما صوّر لنا من خلال انتماءه للغاب وإحساسه به المليء بالتفاؤل والأمل عكس صورا متفائلة عكس ما لمسناه في أشعاره السابقة.

"يتعبد الشاعر في محراب الطبيعة، محاولا أن يكشف سر نفسه وسر هو العالم، لتتم له المشاهدة، ويسفر وجهه اليقين فاعتزال الشابي هو اعتزال وتأمل ومعرفة، به يغذي روحه ويتغذى منها ويرتفع عن حياة العامة والشعب ممن لم تنزل عليهم نعمة الروح فدأبوا على إشباع غرائزهم والاستسلام لجهلهم."[3]

[1] أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، ص 220.

[2] ريتا عوض، أبو القاسم الشابي، ص 38.

[3] أبو قاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص258.

كما أن "الشابي يبني بيتا بين أحضان الطبيعة بالوهم وهناك طهّر مشاعره من لعنة الحياة وخلع ثوب الأحزان وصار إنسانا فرحا، بعد أن كان كاهن حزن، وتلك لحظات تفاؤلية من أحوال اللبس التي كانت تعتري الشابي في تقلبه بين أكن القدر".[1]

وأخيرا يمكننا فهم لجوء الشابي إلى الغاب هو لوجود راحته فيه وابتعاده عن الحزن وأنه أدرك أنّ السعادة فيه وسط صوت الطبيعة التي هي غاية بذاتها لا توجد سعادة قبلها ولا بعدها.

الحب: إضافة إلى الغاب نجد في شعر الشابي أيضا صورة واضحة عن الحب الذي ارتبط بمظاهر الطبيعة ارتباطا وثيقا، فهو عنده كمال النفس ويعكس بحقيقته جمالية الحياة ويضيء مساراتها بنور الأمل والسعادة، فيكمن أن يكون الحب قوة محرّكة للإنسان تدفعه لتحقيق الأهداف وتجاوز الصّعاب، فإنّه يمتلك قوة لا مثيل لها في تحويل الظلمات إلى النّور وجعل الحياة أجمل بكثير " وقد ورد الحب بمعنى الوداد والميل إلى شخص معيّن أو إلى شيء ما، وجاء في تراكيب حقيقية أو مجازية، ولم يخرج عن معناه المعجمي وهو يمثّل سر السعادة وإكمال التآلف في الكون."[2]

ويقول في ديوانه من قصيدة الحب:

[1] إليا الحاوي، الرومنسية في الشعر الغربي و العربي، ص 77.

[2] فريد عوض حيدر، شعر أبي القاسم الشابي، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة ،2002، ص65.

"الحُبُّ شُعْلَةُ نُورٍ ساحرٍ، هَبَطَتْ منَ السَّماءِ، فكانتْ ساطعَ الفَلَقِ

وَمَزّقتْ عَن جفونِ الدَّهْرِ أَغْشِيَةً وعن وجوه الليالي بُرقُعَ الغسقِ

الحبُّ رُوحُ إلهيٌّ، مجنّحةٌ أيامُه بضياء الفجر والشّفقِ"[1]

فهنا الشابي يصف الحب ويعكس لنا شغفه به وبجماله، ومن المعروف أنه قد مر بحب في صغره، الحب الذي خلق في نفسه مرارة وحزنا وحسرة بسبب موت حبيبته، وتزوّج الشابي بعدها ورزق بأطفال فامرأته عنده تتكون من الأحلام والأطياف والزهور وليست من جسد فيقول وهو في غمرة من الحب والإحساس:

"أنت..أنت الحياة في قدسها السامي وفي سحرها الشجيّ الفريد

أنت.. أنت الحياة في رقة الفجرِ وفي رونق الربيع الوليد

أنت .. أنت الحياة كل أوان في رواء من الشباب جديد

أنت.. أنت الحياة فيكِ وفي عينيك آيات سحرها الممدود".[2]

[1] أحمد حسن بسج، ديوان ابي القاسم الشابي، ص 108.

[2] المرجع نفسه، ص61.

فمزج بين حب الطبيعة ومظاهرها، ولا يمكننا الفصل بين صفاته لحبّه أو صفاته للطبيعة، فلقد بث لنا صور حبه وأبرز مشاعره فيها،" فشعره ترجمان لما يجول في ذلك الخاطر القوي الجبار من تصوّر دنيا جديدة بعيدة عن دنيانا، دنيا أقرب إلى دنيا الخيال.... فهو إذا تصوّر الحب ".[1]

فالشابي قدم لنا هذه الصورة بأسلوب فني جميل يختلف عن باقي شعره ويتميّز به، فلقد استعان الشابي بمظاهر الطبيعة ليصوّر بها حبيبته كالصباح، الحياة، الفجر الربيع والورود...إلخ.

كما أنّه يصور لنا في ديوان أغاني الحياة الحب وحبيبته في أكثر من صورة وقصيدة "فالقصائد التي كتب فيها الشابي عن المرأة كثيرة، وهو في قصائده يضفي عليها صفات روحانية فيخرجها من إطارها الواقعي إلى إطار جديد تغدو فيه ملاكا".[2]

نستنتج من كل ما سبق أن الشابي وظّف الطبيعة ليعبّر عن حبّه دلالة على أنه غارق في الطبيعة وما تحتويه لأنه يجدها تترجم حالته النفسية ومدى حبه ليُلّوِنَ هذا الحب بألوانها وظلالها والتي يعتبرها ملجأ له وللعاشقين أمثاله.

[1] أبو القاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، ص 198.

[2] إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 178.

فالطبيعة في تصوّر الشابي هي الكمال والملاذ الذي لطالما حلم به والحنان الذي لم يجده في أي مكان غيرها .

الفصل الثاني: ألفاظ الطبيعة في قصيدة "كم من عهود عذبة"

مدخل:

أوتي الشاعر أبو القاسم الشّابي ملكة قوية في تصوير مظاهر الطبيعة و خلجات النفس و مشاعره، فجعل لألفاظ الطبيعة أرواحًا و حياة، فالشعر عنده وسيلة للتنفيس و منطلق لأشجانه و تعبير عن أحلامه التي فقدها في ظل مرضه و الظروف الاجتماعية السائدة في مجتمعه، التي أثرت كثيرًا على نفسيته.

و في رحلة عذبة يأخذنا معه إلى الجنّة الضّائعة التي صوّرها لنا في قصيدته "كم عهود عذبة" و التي ذكرت في ديوان أغاني الحياة بعنوان "الجنّة الضّائعة"، نشرت هذه القصيدة لأول مرة ضمن ديوان أغاني الحياة للشّابي في مجلة الأمة عام 1955 م. عاد فيها الشّابي إلى عالم الطفولة و وصف لنا ذلك العهد وصفًا مريحًا و كانت جُل ألفاظه ألفاظًا دالةً على الطبيعة أو أسماءً لعناصر من عناصر الطبيعة و يظهر لنا من خلال دراستها أسلوبه المتميز ببساطة اللّغة و وضوح الصّور الذي جعلنا نغوص فيها و نتخيل ذلك العالم الجميل الذي أراد تصويره.

تميزت هذه القصيدة بأسلوبها السهل المباشر، و باستخدامها للصور و المعاني التشبيهية التي جسّدت مشاعر الشاعر و تتميز بإيقاع موسيقي عذب. تتكون من 70 بيت .

المبحث الأول: ألفاظ الطبيعة في القصيدة من حيث النوع و الكم

عدد الألفاظ الدالة على الطبيعة ما يزيد عن 60 لفظة قمنا بوضع عدد تقريبي حيث أننا لا نستطيع عدَّها بشكل دقيق فبعض الألفاظ تحمل أسماءً لعناصر الطبيعة و البعض دال على صفاتها أو تعبيرًا عن حب الشاعر لها. ومن هذا الإحصاء توصلنا إلى تصنيف لهذه الالفاظ فكان مبينًا في الجدول الآتي:

النوع	الأمثلة
الظواهر الطبيعية	الأسحار، البكور، اللّيل، الشفق، الرّياح، الخرير، الأصائل، الإعصار
مكونات الطبيعة	الجبل، الرّوض، السواقي، الحقول، الفضاء، مروج، جداول الماء، النهر، الغدير، الصخور، الكون، الرّمل، المزالق
الكائنات الحية	الزهور، العصفور، النخل، الصنوبر، الطيور، الزنابق، أسراب، العشب، السنابل، القطة، الشاة، الحمير، الأشواك، تيجان الزهور، الورد، الورق، الفراش، البلابل
المفاهيم المستمدة من الطبيعة	الحياة، الموت، الدّهر، الوجود، الفناء، الزمان
الصفات المستعملة لوصف عناصر الطبيعة	عذبة، المطير، النضير، طهارة، الجميل، وداعة، الأنيق، المكلّل، الرحب، الكبير، المخضب، الجميل، المحطم، مجنحة، بيضاء، لاعية، مغردة، الوعر، المستطير، الخضر، الخضير، النمير
مشاعره المرتبطة بالطبيعة	الحنين، الذكرى، الحب، الفرح، الحزن، الغضب

تحليل نتائج الجدول:

يظهر لنا من خلال هذا الجدول أن جلّ الألفاظ المستعملة هي ألفاظ متعلقة بالطبيعة و كما سبق الذكر أن الشّابي في هذه القصيدة عبّر عن حنينه و اشتياقه للزّمن الجميل و غضبه عن واقعه المرير مستعملًا ألفاظًا دالة على الطبيعة.

ـ نجد أن التنوع الغالب من هذه الالفاظ في القصيدة هي الكائنات الحية و مكونات الطبيعة، حيث شغلت نسبة % 53 من مجمل ألفاظ الطبيعة.

ـ ثم تليها نوع الصفات التي استعملها لوصف هذه العناصر من الطبيعة و حالته النفسية المرتبطة بها بنسبة 31% .

ـ و ما تبقى من الألفاظ هي عبارة عن ظواهر و مفاهيم تستمد من الطبيعة و مشاعره المرتبطة بها بنسبة 16%.

يظهر لنا من خلال هذه النسب أن الشّابي استعمل عناصر الطبيعة الحية و الجامدة ليظهر لنا أن تلك المرحلة من حياته كانت مفعمة بالحياة و الحرية .

فالمياه تدل على النقاء، والنباتات رمز للخضرة والازدهار والجمال، والطيور تشير إلى الحرية والجمال و الفرح و هذا يصف تغريدها و تحليقها.

أما عن نسبة الصفات فهي التي بينت مواضع الحزن و الغضب و مواطن الفرح و الاشتياق من القصيدة لذلك شغلت حيزًا في التعبير.

و ربط الشاعر بين الطبيعة و نفسيته و ترك للقارئ مجالا في فهمها من خلال السُّطور مستخدما إستعارات وصور بيانية تفيده في الوصول إلى غايته.

و أظهرت نتائج التحليل أن الطبيعة تحتل مكانة مركزية في شعر أبي القاسم الشّابي، و أنه شاعر محبٌّ لها و متعلق بها، مستخدمًا أسلوبًا إبداعيًا لوصفها.

ـ تدل كثرة استعمال الصفات الدالة على الطبيعة على الارتباط العميق بين الشاعر و الطبيعة و حبه لها و تساعده في خلق صورة حية في ذهن المتلقي و إشراكه في تجربة الشاعر، و قد تؤثر هذه الصفات في جعل القارئ يدخل في جو القصيدة و الإحساس بها و منه إثراء المعنى و توضيحه وإضفاء المزيد من الجمال على القصيدة.

المبحث الثاني: تحليل دلالات ألفاظ الطبيعة في القصيدة.

دلالة الجمال: نجد أن أبا القاسم الشّابي استعمل بعض الألفاظ للدلالة على الجمال الطبيعي الذي كان يعيش فيه في صغره، و عبَّر بمفردات تحمل معنى أو تدل على

الطبيعة و عناصرها و مكوّناتها و تميّزت هذه الألفاظ بأنها في الحقيقة رمز للجمال بمجرّد أن يتلقاها القارئ يشعر بجاذبية المنظر مثل قوله:

" كانـت أرَّق من الزهـــور، و من أغـاريد الطيـــور".[1]

الزهور و صوت الطيور من العناصر الطبيعية التي تَسحر الناظر لها و بمجرد قراءة هذا البيت تظهر لنا الصورة الجميلة فترتسم في العقل.

و يتابع أبو القاسم الشّابي حديثه عن عهود طفولته و يبرز مظاهر الجمال فيها فيقول:

" و نعـود نضـحك للمـروج ، وللزّنابـق ، و الغـديـر ".[2]

بعد وصف الأكواخ و الممارسات المرحة عاد لينقلنا إلى الجو المريح بين المروج الخضراء و إلى الوادي القريب منه المملوء بأنواع الزهور فكل هذه الرّمزيات تضفي رونقًا خاصًا للقصيدة حيث تشعر عند القراءة بأنك تمارس تلك العادات و تلهو بين ذلك الوادي أي أنه استطاع نقل الصورة الجميلة نقلا حيًا و أظهر لنا جمال الزمن الذي عاشه من خلال مقارنته بظواهر طبيعية تتميّز بالألوان الجميلة كالسماء في وقت الأسحار و الصباح و عند الغروب.

[1] أبي القاسم الشابي، أغاني الحياة ، قصيدة " الجنة الضائعة" ، البيت 3، ص 213.
[2] المرجع نفسه، البيت 16 ، ص 214.

" فضّـية الأسـحار مذهـبة الأصـائل و البـكور".[1]

تتميز هذه القصيدة بغناها بالألفاظ الطبيعية التي وظفها الشاعر ببراعة للتعبير عن شوقه للماضي و جمال عهد الطفولة التي كان يعيش فيه و من أبرز الألفاظ الطبيعية التي تعبر عن جمال ما كان يعيشه وجدنا:

*الوادي: يرمز إلى المكان الذي قضى فيه الشاعر طفولته ووصفه بالنضير وهو وصف دال على جمال المكان و سكينته و خضرة الوادي و نضارته.

*الزهور: الزهور من أجمل العناصر الطبيعية التي تعطي منظرًا جذابًا، استعمل الشاعر أنواعا كثيرة منها ليبرز جمال الطبيعة الأخّاذ و بهائها فاستعمل (الزنابق، تيجان الزهور، الورد، السنابل....).

*الفراش: الفراش من أبهى الحشرات التي ترمز دائمًا في التعبير إلى جمال اللحظات المقترنة به.

*المروج و الرّوض، السواقي، الحقول: كلها أماكن واسعة مغطاة بالعشب الاخضر و تدل على اتساع المكان و رحابته.

*الغدير: هو بركة من الماء تتجمّع في الوادي و يرمز إلى الانتعاش.

[1] المرجع نفسه، البيت 2 ، ص 213.

تخلق هذه الألفاظ صورة حية للمكان الذي وصفه أبو القاسم في ذهن القارئ فمن خلال وصف هذه العناصر و الأماكن وصفًا دقيقًا استطاع أن ينقل لنا صورة جميلة يُظهر لنا فيها العشب الأخضر و المروج و كل ما هو جميل.

و بما أن الشّابي كان شاعرًا رومانسيًا لا بد أن يستعمل ألفاظ الطبيعة للدّلالة على جمال المكان الأخّاذ و الزمن الذي كان يعيشه.

دلالة القوة:

تكلّلت القصيدة بألفاظ لعناصر من الطبيعة تتميز بالقوة و اختلفت الدلالة من عنصر لآخر فنجده في بيت من الأبيات يقول:

"و تسلق الجبل المكلل بالصّنوبر و الصخور".[1]

استعمل كلمتي الجبل و الصخور و هي عناصر تتميز بالصلابة و القوة مع استعماله للفعل "تسلق" و هو فعل يحتاج لجهد و جسم قوي وهذه الدلالة تبيّن للقارئ أنه كان له من القوة في طفولته ما يساعده على التسلق.

[1] المرجع السابق، البيت 12 ، ص 214.

ـ و استعمل لفظ الرّياح التي تهدم الأكواخ الصغيرة و فعل الهدم لا يحدث إلاّ بقوة الرّياح و هذه العبارة كانت تصّور لنا المشهد و شدة الرّياح.

" نـبنـي، فتهدمـها الريـاح، فـلا نـضجّ و لا نـثور". [1]

ـ " و دويٌّ إعـصار الأسى ، و الموت ، في تلك الوعـور".[2]

هذا البيت يظهر لنا قوة شعوره بالحزن و الكآبة حيث أنه شبهّها بدويّ الإعصار و الدّوي هو الصوت القوي الذي تصدره الأعاصير و الرُّعود.

دلالة الحياة:

" الزهور، الأشجار، القطة، الشاة، الحمير..... " جميعها ألفاظ لكائنات حية مفعمة بالحياة، أدرجها الشّابي في شعره لترمز للحياة، ونجد أن أبا القاسم قد أكثر منها في المقاطع التي تحمل دلالات الأمل و الحياة السعيدة في مطلع القصيدة التي كان يعيشها في طفولته فهي بالنسبة له معنى للحياة الحقيقية.

و الزهور هي أكثر عنصر رامز للحياة لأنها توحي للتحوّل الدائم و الصيرورة و التجدُّد و يعانقها الشّابي في شوق لعهد الطفولة فيقول:

[1] المرجع نفسه، البيت 15 ، ص 214.

[2] المرجع نفسه، البيت 59 ، ص 217.

"و تَتَبُّعِ النَّحْل الأنيق و قطف تيجان الزهور".[1]

و تتكرّر هذه الألفاظ لتوضح المعاني و الدّلالات التي توحي إلى الحرّية و الفرح و الحياة و كل هذه العناصر كانت تجدّد شعوره بالحياة، فنجده يعبّر عن الحرية بتكرار كلمة الطيور و ما شابهها (البلابل، الفراش، العصفور...) .

من أبرز الألفاظ التي تدل على رمزية الحياة في القصيدة:

*الزهور: تمثل الزهور رمزًا للجمال و الحياة و التجدّد و تتكرّر صور الزهور مثل: الورد و الزنابق و ما إلى ذلك.

*الأشجار: هي من العناصر الحية التي تكرّرت في القصيدة و التي تمثل رمزًا للتجدّد و القوة الثبات مثل: النخل، الصنوبر و الاشجار.

*الماء: و يمثل الماء مصدرًا للحياة لكل الكائنات الحية و هو رمز للطهارة و العطاء و الحياة، تكرّرت صور الماء في وصفه للوادي و الغدير و المروج و النهر و الموج، السواقي و حتى أن الصفات التي استعملها لوصف زمن الطفولة و هذه العناصر كانت دالة على الحركة الدائمة على الحياة مثل: عذبة، المطير، الطهارة ....

[1] المرجع السابق، البيت 11، ص 214.

*الطيور: تمثل الطيور رمزًا للحياة و السعادة و الأمل و تتكرر صور الطيور في القصيدة: البلابل، أسراب، الطيور....

ربط الشاعر بين رمزية الحياة و ألفاظ الطبيعة حيث أنه وصف الطبيعة بأجمل الصفات، النضارة، الطهارة، الخضراء، الوداعة... إلخ ، و حتى أنّنا نجده وصف أصوات الطبيعة بالأصوات الجميلة التي تعطي للقارئ إشارة حية و جميلة كالتغريد و الخرير و المغرّدة...

رمزية الموت:

المفردات و الألفاظ الدالة على الموت حاضرة في هذه القصيدة لأن الشّابي في كل مراحل الإبداعية لم يكن يستغني عن الموت في أشعاره و في هذه القصيدة نجد ألفاظا دالة عليه من بينها القبور، الموت، الفناء، العمر القصير.

" آه تـوارى فجـري القـدسـيُّ فـي ليـل الدهـور".[1]

هنا في هذا البيت استعمل لفظتين دالتين على ظاهرتين طبيعيتين و هما الفجر و الليل إلا أن المعنى الأصلي للبيت أن حياته قاربت على الانتهاء و انتهى الزمن العذب و بدأ

[1] المرجع السابق، البيت 45 ، ص 216.

ليله السَّرمدي يوحي لنا الشاعر في هذا البيت أن الإنسان يموت و يفنى بمجرَّد كبره و انتهاء العهد الجميل زمن الطفولة.

ـ يستمد الشّابي تجربته من لحظة الانفعال الراهنة و الرؤيا الشعرية التي تخامر وجدانه فتساءل في ذهنه أسئلة الموت و الحياة و البداية و الانتهاء فيحضر الموت و تنتهي الحياة.

و حضر الموت عندما انتابته لحظة الانفعال في تجربته فاستبدَّ به الحزن و التمزق إلى أن عبَّر بألفاظ دالة على الموت فقال:

" هالـته أشبـاح الظـلام، وراعـه صـوت القـبـور

و دويٌّ إعصار الأسى، و الموت، في تلك الوعـور".[1]

في هذا البيت يشرح لنا الشّابي الصعوبات التي يواجهها الإنسان في رحلة العمر القصيرة ما بين صعوبات الحياة و الأعباء المتضاربة عليه من كل الجهات إلى أن وصل إلى دلالة الفناء، أي أن الإنسان يفنى به العمر عند ما يجابه كل هذه الأمور و نهايتها الموت بينها و مصيره القبور.

[1] المرجع نفسه، البيت 58 – 59، ص 216– 217.

عندما ينتهي الزمن الذي يبعث المباهج و الجمال، يتحوّل الأمر إلى سراب و هو الذي جعل الشّابي ينهي قصيدته بالحديث عن الموت وهو المآل الأخير بعد المرور بكل المظاهر كما دّل الموت في قصيدته على يأسه من تغير أحوال الإنسان و يبقى الفناء و القبر هو منزله الأخير.

دلالة الشوق و الحنين:

توظف قصيدة "كم عهود عذبة" لأبي القاسم الشّابي ألفاظ الطبيعة بكثافة لترجمة مشاعر الشوق و الحنين و تجلّت هذه الدّلالات فيما يلي:

– استخدام الألفاظ الدالة على الزمن الماضي: مثل عهد، أيام، زمن الطفولة ... و ظهرت دلالة الشوق في الأبيات التي بالغ فيها في وصف الزمن الجميل، حيث قال:

"قد كنت في زمن الطفولة، و السذاجة و الطهور

أحيا كما تـحيا البلابل، و الجـداول، و الزهـور".[1]

هنا في هذا البيت قد بيّن الشاعر مشاعره وحنينه إلى العهد الجميل حين قارن بين العهدين مستعملا ألفاظًا دالةَ على الحياة و نقيضها.

[1] المرجع السابق، البيت 64 – 65، ص 217.

– استخدام الصّور الطبيعية الحية، كالبلابل و الزهور و الأعشاب لتجسيد مشاعر الشوق حيث أصبحت هذه العناصر الطبيعية شاهدة على تلك اللحظات الجميلة التي عاشها في الماضي و حين حاول الشّابي رسم الصورة الحية لعالم الطفولة باستعمال التشبيهات التي تتضمن هذه الألفاظ.

و تظهر مشاعر الشوق في العديد من المواضع الأخرى بداية من الأبيات الأولى:

" كـم عـهودٍ عذبـة في عـدوة الـوادي النضـير".[1]

تشير هذه المقدمة مباشرة إلى شعوره بالحنين إلى الماضي الجميل الذي قضاه في هذا المكان و الوصف الذي أتبعه و تشبيهه لهذا العهد بظواهر طبيعية الأصائل و البكور أي الصباح و المساء أضفى على المكان سحرًا خاصًا يعمق شعوره بالحنين.

– و نجد في الأبيات في الوسطى:

"كـانـت أرّق من الزهـور و من أغـاريـد الطـيور".[2]

تُضفي هذه الصورة البيانية على ذكرياته الشعور بالأسى لفراقها حين قارنها بأجمل الأشياء في الطبيعة.

[1] المرجع السابق، البيت1، ص 213.

[2] المرجع نفسه، البيت3، ص 213.

"و ألذَّ من سحر الصّبا في بسمة الطفل الغرير".[1]

و واصل التشبيهات بعناصر طبيعية فعُكِسَت مظاهر الشعور بالبراءة و النقاء مما يضاعف الحنين إليها.

تشكل مشاعر الشوق و الحنين السمة الأساسية لقصيدة "كم عهود عذبة" و تتجلى هذه المشاعر من خلال الصورة الشعرية الحية و الألفاظ الدالة على المشاعر و الأبيات التي تعبر عن شعور الشاعر بالحنين إلى الماضي الجميل.

المبحث الثالث: الوظائف و الحقول الدلالية للألفاظ المستخرجة من القصيدة.

وظائف ألفاظ الطبيعة:

أ ـ خلق الصورة الحية: تلعب الالفاظ الطبيعية التي استعملها الشّابي في القصيدة دورًا هامًا في خلق صورة حية و ذلك من خلال:

* استخدام الألفاظ الحسية: يشير الشاعر إلى عناصر الطبيعة من خلال حواسنا مثل الزهور، الاشجار، الفراش، السنابل، الورد، الورق....

[1] المرجع نفسه، البيت4، ص 213.

* استخدام الأوصاف الدقيقة: يصف الشاعر العناصر الطبيعية و مظاهر الطبيعة و ظواهرها وصفًا دقيقًا يجعل العقل الإنساني يرسم الصورة في ذهنه مثل الوادي النضير، الفضاء الرحب، الشفق الجميل، النهر الكبير، المرج الخضير ....

* استخدام التشبيهات و الاستعارات: يقارن الشاعر عناصر الطبيعة بأشياء أخرى لإبراز الصفات الأصلية لها مثل مقارنته لعهد الطفولة بالزهور و تغريد الطيور، ليظهر لنا أنّ جمال ذلك العهد أجمل من هذين العنصرين اللذان يعتبران من اجمل عناصر الطبيعة.

ب ـ الربط بين مشاعر القارئ و الطبيعة: تثير ألفاظ الطبيعة مشاعر مختلفة لدى القارئ مثل الهدوء و السعادة و الجمال و الرهبة و حتى الحزن او اليأس و ذلك راجع لدّلالة اللغوية لها في السياق.

ج ـ تضمين معاني فلسفية: يوظف الشاعر ألفاظ الطبيعة للتعبير عن معاني فلسفية مثل التناقض بين الموت و الحياة، الخلود و الاندماج مع الكون و التحرر من قيود الحياة...و ما إلى ذلك:

فالتناقض بين الموت و الحياة ظهر في الأبيات التي يصف فيها زمن الطفولة كانت مليئة بالصفات الجميلة و العناصر الطبيعة التي ترمز للجمال و الحياة، في حين انتهى في

الأبيات الأخيرة باستعمال ألفاظ دالة على الفناء و الموت كالقبور، و الأعاصير وهذا دليل على بشاعة المنظر.

أمّا عن الخلود و الاندماج مع الكون فكان يظهر من خلال ذكرياته الجميلة التي كان أن يتمنى أن لا تنتهي.

و التحرّر من قيود الحياة و ذلك بوصف الطيور و الفراش اللذان يعبّران عن الحرّية و الانطلاق في الحياة.

ج ـ الموسيقى الشعرية: استعمل الشاعر بعض الصفات و الألفاظ الدالة على الطبيعة لإتمام النغم الموسيقى للقصيدة، مثل: المطير، النمير، الخضير، المستطير..

و يوظف الشاعر هذا التجانس الصوتي لإمتاع القارئ و ظهر في بعض الأبيات بشكل واضح. و وظف الشّابي التنغيم من خلال المد و القصر مثل: الوادي النضير، الأصائل، الأسحار، البكور... فساهم في خلق نغمة موسيقية جميلة تضفي على القصيدة عذوبة و رقة.

الحقول الدلالية في القصيدة:

حقل الطبيعة الجامدة	حقل الطبيعة الحية المتحركة	حقل الطبيعة المحسوسة
–الروض	–الوادي	–الأسحار
–جداول	–الزهور	–الصبا
–الجبل	–الطيور	–عهود
–الصخور	–الموج	–الحياة
–المروج	–شاطئ	–سحر
–الرمل	–العصفور	–السرور
	–النحل	–الدنيا
	–الورد	–أيام
	–الأعشاب	–الفضاء
	–الورق	–الأحلام
	–الرياح	–الأفراح
	–الزنابق	–الظلام
	–الفراش	

	-البلابل -النهر -إعصار -حقول	

من جملة الحقول الدلالية نلاحظ أن:

حقل الطبيعة المتحركة كان طاغيا على بقية الحقول الأخرى ذلك أنّ الشّابي قد أخذنا معه إلى جنته الضائعة ذلك العالم الرقيق رقة الزهور، و وصفها لنا وكيف كان يعيشها في ذلك العهد فضّي الأسحار، و طفولته و الصبا و كيف كانت أيامه في طهارة الموج، فلقد أخذنا من هذا الحقل الجزء الأكبر من الالفاظ التي وظفها الشاعر .

فقد سار نحو أسلوب بسيط و مفهوم ليوصل إلينا أفكاره و أحاسيسه اتجاه جنته، كما أن حقل الطبيعة المحسوسة لها جزء من القصيدة، فلقد وظفها بنسبة تتناسب مع مشاعره و شوقه للطفولة التي اعتبرها جنة.

أما الحقل الأخير حقل الطبيعة الجامدة نَلْحَظُ حضورها بصورة تلفت الانتباه و ذلك ليس بالغريب عند الشعراء الرومانسيين و خاصةً عند شاعرنا الشّابي.

ملحق

كَمْ من عُهودٍ عذبةٍ في عَدْوة الوادي النضير

فِضِّيّةِ الأسحار مُذْهَبَةِ الأصائل و البكور

كانت أرقّ من الزهور، و من أغاريد الطيور

و ألذّ من سحر الصِّبا في بَسمة الطفل الغرير

قضيّتُها و معي الحبيبةُ لا رقيب و لا نذيرْ

إلاّ الطفولة حولنا تلهو مع الحُبِّ الصغيرْ

أيام كانت للحياة حلاوة الروض المطيرْ

و طهارةُ الموج الجميل، و سِحر شاطئه المنير

و وداعة العصفور، بين جداول الماء النميرْ

أيامَ لم نَعرف من الدُّنيا سوى مَرَحِ السُّرور

وتَتَبُّعِ النَّحْل الأنيق وقَطْفِ تيجان الزهورْ

و تسلُّقِ الجبلِ المكلّل بالصّنَوْبَر و الصخورْ

و بناءِ أكواخِ الطفولة تحت أعشاش الطيورْ

مسقوفةً بالورد، و الأعشاب، و الورق النضير

نبني، فتهدمها الرياحُ، فلا نضجُّ و لا نثورْ

و نعودُ نضحكُ للمروج، و للزنابقِ، و الغديرْ

و نخاطبُ الأصداءَ، و هي تَرِفُّ في الوادي المنير

و نعيد أغنية السواقي، و هي تلغو بالخريرْ

و نَظَلُّ نركض خلف أسراب الفراش المستطير

و نمرُّ ما بين المروج الخضر، في سكر الشعور

نشدو، و نرقصُ – كالبلابلِ – للحياة و للحبور

و نظل ننثرُ للفضاء الرّحْبِ، و النهرِ الكبيرْ

ما في فؤادَيْنا من الأحلام، أو حُلْوِ الغرورْ

و نَشِيدُ في الأُفق المخضّب من أمانينا قصور

أزهى من الشفَقِ الجميل، و روْنق المرج الخضير

و أجلَّ من هذا الوجودِ، و كلِّ أمجادِ الدهورْ

أبدًا، تُدلِّلُها الحياةُ بكلِّ أنواعِ السرورْ

و تبثُّ فينا من مراحِ الكون ما يغوي الوقور

فنسيرُ، نَنْشُد لهوَنا المعبود – في كلّ الأمور

و نظل نعبث بالجليل من الوجود و بالحقيرْ

– بالسائل الأعمى، و بالمعتوه، و الشيخِ الكبيرْ

بالقطة البيضاءِ، بالشاة الوديعة، بالحميرْ

بالعشب، بالفنن المنوّر، بالسنابل، بالسَّفيرْ

بالرَّمْلِ، بالصخر المحطَّم، بالجداول، بالغدير

واللهْو، و العبَثُ البريءُ، الحلو، مطمحنا الأخير

و نظل نقفز، أو نُثَرْثِرُ، أو نغنّي، أو ندورْ

لا نسأم اللهوَ الجميلَ، و ليس يدركنا الفتورْ

فكأنّنا نحيا بأعصابٍ من المَرحِ المُثِيرْ

و كأننا نمشي بأقدامٍ مجنَّحةٍ، تطيرْ

أيام كنا لُبَّ هذا الكون، و الباقي قشورْ

أيام تفرشُ سُبْلنا الدنيا بأوراق الزهورْ

و تمرُّ أيامُ الحياة بنا، كأسراب الطُّيورْ

بيضاء لاعبةً ،مُغرِّدةً مجنَّحةً بنورْ

و تُرَفْرف الأفراحُ فوق رؤوسنا أنَّى نسيرْ

آهٍ! توارى فَجْرِيَ القدُسيُّ في ليل الدهورْ

وفنَى، كما يفنَى النشيدُ الحلو في صمت الأثير

أوّاهُ! قد ضاعت عليَّ سعادةُ القلب الغريرْ

وبقيت في وادي الزمان الجهم أدأب في المسير

وأدوسُ أشواك الحياة بقلبيَ الدّامي الكسيرْ

و أرى الأباطيل الكثيرةَ، و المآثم، و الشرورْ

و تصادُمَ الأهواء بالأهواء في كل الأمورْ

!و مَذَلّةَ الحقِّ الضعيفِ، و عزّةَ الظلم القديرْ

و أرى ابنَ آدَمَ سائرًا في رحْلَةِ العُمُرِ القصيرْ

ما بينَ أهوال الوجودِ، و تَحت أعباء الضمير

متسلِّقًا جَبَلَ الحياةِ الوعر، كالشَّيْخِ الضّريرْ

دامي الأكفِّ مُمَزّقَ الأقْدَامِ، مُغْبَرَّ الشعورْ

مُترنِّحَ الخطواتِ ما بين المزالق و الصُّخورْ

هالتْهُ أشْباحُ الظلامِ، وراعهُ صوتُ القبورْ

و دويُّ إعْصار الأسى، والموت، في تلك الوُعورْ

ماذا جنيتُ من الحياة و من تجاريب الدُّهورْ

غيرَ الندامةِ والأسى و اليأس و الدمع الغزير؟

هذا حَصادي من حقول العالَم الرحب الخطير

هذا حَصادي كلُّه، في يقظة العَهْدِ الأخيرْ

قد كنتُ في زمن الطفولةِ، و السذاجة، و الطهور

أحيا كما تحيا البلابلُ، و الجداولُ ، و الزُّهورْ

لا نحفل الدنيا تدور بأهلها، أو لا تدورْ

واليومَ أحيا مُرْهَقَ الأعْصاب، مشبوب الشعور

مُتأجِّجَ الإحساسِ، أحفلُ بالعظيم، و بالحقيرْ

تمشي على قلبي الحياةُ، و يزحف الكون الكبير

هذا مصيري ،يا بني فما أشقى المصير!

خاتمة

خاتمة :

شعر الشّابي هو شعر ابداعي يعبّر يه هذا الأخير عن ما يعتليه من المشاعر و الأحاسيس بطريقة فنية ، و قد استطاع أن يجسد لنا كل المعاني التي أراد أن يوصلها من خلال أسلوبه الفني الراقي و البسيط .

في نفس الوقت ، لم يستطع أبي القاسم الشّابي نشر أعماله و هو على قيد الحياة نظراً للتجارب التي عاشها لكن تألّف به شعره بعد وفاته و هذا دليل على أنّ قصائده و كتاباته كانت ذات طابع ممّيز و أكثر ما ميّز شعره هو استعماله لألفاظ الطبيعة و قد استخدمها لنقل أحاسيسه و خلق جو رومنسي حالم للتعبير عنها و لإضفاء جمالية على معانيه و افكاره .

– من أبرز نتائج هذا البحث نجد أنّ الشّابي بعد تأثره بالأدب العربي من جهة أخرى استطاع أن يمزج بين الفنّين ليخلق لنا شعراً متميزاً بأسلوبه و إبداعه .

– استعمال ألفاظ الطبيعة عند أبي القاسم الشّابي لم يكن تصويراً لها أو وصفاً خارجياً فقط بل كان رابطاً بين أحاسيسه المختلفة من آلم و كآبة وحزن و حتى فرح و تأمل و قوة و بين العناصر القوية في الطبيعة .

– عند قراءة شعر أبي القاسم الشّابي و رغم بساطته إلاَّ أنه يثير القارئ و يشوقه و يوقظ لديه أحاسيساً مختلفة لأنه يبحث فيه عن المعاني العميقة و الدّلالات لهذه الألفاظ .

– في قصيدة "كم عهود عذبة" اختلفت الدّلالات رغم أنّه استعمل عناصر من نفس الحقل الدّلالي تقريبا إلاّ أنّه أوسمها بمختلف المعاني و هنا تظهر القدرة التعبيرية للشاعر في استعمال ذات الألفاظ ليوّلد لنا معاني مختلفة .

و الشعر الحقيقي هو من يستطيع إيصال أفكار عميقة تؤثر على المتلقي من خلال ألفاظ لغوية متداولة و بسيطة لا يحتاج القارئ إلى البحث عن معناها بواسطة وسائل أخرى بل تخاطب العقل مباشرة .

– تعد هذه النتائج مهمة لفهم دلالات ألفاظ الطبيعة في شعر أبي القاسم الشّابي و أوضحت لنا قدرته على توظيفها لخلق صورة شعرية بديعة عبّر بها عن مشاعره و افكاره.

– كما تساهم هذه النتائج في إثراء الدراسات النقدية حول شعر الشّابي و تساعد على إبراز مكانته كأحد روّاد الشعر الرّومانسي في الأدب العربي الحديث .

– شعر الشّابي شعر مليء بمجالات أخرى يستطيع الباحثين الخوض فيها ، و من أبرز ما يمكننا اقتراحه حول هذه الدراسات هو دراسة ألفاظ الطبيعة في قصائد أبي القاسم الشّابي الأخرى لمعرفة المزيد عن أسلوبه في توظيفها و لرصد التطورات التي طرأت على

استخدامه لها عبر مسيرته الشعرية ، و يُقترح إجراء دراسة مقارنة بين ألفاظ الطبيعة في شعره و شعراء آخرين من جيله أو من الشعر القديم لمعرفة كيف تطوَّر استخدام هذه الألفاظ بين العصور . أو دراسة تأثير ألفاظ الطبيعة على المتلقي لمعرفة كيف تساهم ألفاظ الطبيعة في خلق مشاعر و أحاسيس معينة لديه هي دراسة لم يسبق لها الذكر و هي مفيدة في هذا المجال من البحث.

– أظهرت هذه المذكرة انّ ألفاظ الطبيعة تحتل مكانة مرموقة في شعر الشّابي و أنّ توظيفه لها كان مبدعاً و متقناً، كما أكدّ هذا البحث على أهمية دراسة الفاظ الطبيعة في شعر أبي القاسم الشّابي و الدّلالات العميقة التي يحملها .

قائمة المصادر و المراجع

قائمة المصادر والمراجع:

أ. المصادر:

1. أبو القاسم الشابي، أغاني الحياة، دار الكتب الشرقية، القاهرة، ط1، 1955

2. أبو القاسم الشابي، الأعمال الكاملة، ج2، الدار التونسية للنشر

ب. المراجع:

1. أبو قاسم محمد كرو، دراسات عن الشابي، الدار العربية للكتاب، .1984

2. أحمد حسن بسج، ديوان أبي القاسم الشابّي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان،2006

3. أحمد حيدوش، الاتجاه النفسي في النقد العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر

4. أحمد زكي أبو شادي، قضايا الشعر المعاصر، ، دن مؤسسة هنداوي ـ 2014،

5. إبراهيم خليل، مدخل إلى الشعر العربي الحديث، دن المسيرة الاردن، ط1، 2003

6. اليا الحاوي، الرومنسية في الشعر الغربي و العربي، دار الثقافة لبنان، ط2، 2003

7. بن يحي عباس، مسار الشعر العربي الحديث والمعاصر، دار الهدى، الجزائر، 2004

8. خليفة محمد التليسي، الشابي و جبران، الدار العربية للكتاب، ط5، 2004

9. ربيع محمد شحاتة، تاريخ علم النفس و أدبه، دار غريب القاهرة، 2004

10. ريتا عوض، أبو القاسم الشابي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط1، 1983

11. سحر عبد الله عمران أبو القاسم الشابي عبقرية فريدة وشاعرية متجددة، دراسة دمشق 2009، الكتاب الشهري الثاني والعشرين

12. عبد السلام المسدي، قراءات، الشركة التونسية للتوزيع، 1981.

13. عبد اللطيف شرارة، الشابيّ، دار بيروت للطباعة والنشر 1989.

14. د. عز الدين إسماعيل، ديوان أبي القاسم الشابي، دار العودة، بيروت، 198

15. عمر فروخ، شاعر الحب والحياة، منشورات دار العلم . بيروت، 1960.

16. فريد عوض حيدر، شعر أبي القاسم الشابي، مكتبة الزهراء الشرق، القاهرة ،2002.

17. مجيد طراد، ديوان أبي القاسم الشابي ورسائله، دار الكتاب العربي، لبنان، 2006.

18. محمد الحليوي، رسائل الشابي، دار المغرب العربي، تونس، ط1، 1924.

19. محمد نبيل طريفي، أبي القاسم الشابي ورسائله، د المكتبة العصرية، ط1، بيروت 2002.

20. يوسف عطا الطريفي، أبو القاسم الشابي حياته وشعره، الأهلية للنشر و التوزيع، ط1، 2009.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الاهداء

شكر و تقدير

مقدمة ..... أ ـ هـ

تمهيد ..... 6 ـ 12

الفصل الأول: ألفاظ الطبيعة في شعر أبي قاسم الشّابي ..... 13 ـ 36

المبحث الأول: الألفاظ الدالة على الألم و الحزن 14

المبحث الثاني: الكآبة في شعره 21

المبحث الثالث: الألفاظ الدالة على التفاؤل و الإشراق..... 29

الفصل الثاني: ألفاظ الطبيعة في قصيدة "كم عهود عذبة" .....37 ـ 57

المبحث الأول: ألفاظ الطبيعة في القصيدة من حيث النوع و الكم 39

المبحث الثاني: تحليل دلالات ألفاظ الطبيعة في القصيدة 42

المبحث الثالث: الوظائف و الحقول الدلالية لألفاظ الطبيعة في القصيدة 52

ملحق 52

خاتمة 58

قائمة المصادر و المراجع 69

فهرس الموضوعات 72